**الجامعة : المستنصرية**

**الكلية : الاداب**

**القسم : الانثروبولوجيا والاجتماع**

**اسم التدريسي : هدى كريم مطلك**

**المادة : مقدمة المدخل الى الانثروبولوجيا العامة**

**المحاضرة الثانية عشر**

م / التشابه والاختلاف بين الانسان ورتبة الحيوانات العليا وماهية السلالات البشرية القديمة

و اهم نقاط الاختلاف بين الانسان و القردة العليا هي:

1. صغر المخ لدى القردة العليا قياسا على ماهو لدى الانسان .
2. تسطح الجمجمة وضيق الجبهة و رجوعها الى الوراء عند القردة العليا, في حين ان الجمجمة مكورة و الجبهة واسعة و عمودية عند الانسان .
3. وجود جسر عظمي بارز فوق العيون لدى القردة العليا و انعدامه لدى الانسان .
4. وجود شعر على اجسام القردة العليا اكثف مما هو على جسم الانسان.
5. طول الاطراف العليا و قصر الاطراف السفلى عند القردة العليا في حين ان الاطراف العليا اقصر عند الانسان من الاطراف السفلى .

و الانسان ليس سليلا للقرد العليا ولا أخا لها, بل انه هو و القردة العليا يمكن ان يعتبروا (اولاد عم) اذ انهم جميعا ينتسبون الى جد واحد . أي ان لكل من الانسان و القردة العليا خط نسب منفصل, ولكن الخطين يلتقيان في نقطة بعيدة .

وقد تفرغت السلالتان من حيوانات ثديية صغيرة, تدعى (زبابات الاشجار Tree-Shrews , عاشت قبل ما يقرب من خمسين مليون سنة على الاشجار. وكانت تلك الحيوانات تقتان على الحشرات. ثم طرآ تبدل على غذائها, فاصبح من المعتذر عليها ان تعيش بصورة مستمرة على الاشجار, فصارت تهجرها تدريجيا الى الارض. و بدأت طرق معيشتها تتطور بما يتناسب و الحياة على الارض. فاخذت تسير منتصبة لتستطيع الجري وراء الصيد, فطالت ارجلها, وتطورت اقدامها بحيث اصبحت قادرة على حمل اجسامها, و ازداد حجم دماغها, فانفصلت تلك الفصيلة الهابطة الى الارض عن أصلها . كان ذلك منذ اكثر من سبعة ملايين سنة . ثم تشعبت تلك الفصيلة الى عدة فروع في العصر الجيولوجي الپليوسين) وهو العصر الذي بدأ قبل اثني عشر مليونا من السنين وانتهى قبل مليون سنة . وتطورت تلك الفصيلة حتى وصل احد فروعها الى مرتبة الانسان . ويظهر ان ذلك قد حدث في الثلث الاول او في منتصف العصر (الپليستوسين) الذي بدأ قبل مليون سنة وانتهى قبل خمسين الف سنة . وانتشرت تلك السلالة الحديثة على الارض في كل مكان وقرضت منافسيها, ثم بدأت هي ذاتها تتشعب الى عناصر مختلفة . اما متى و اين انفصل فرع الانسان من الجذع الذي كان يضمه هو و القردة العليا سويا, ومن هم آخر الاجداد المشتركين للفصيلتين, فاننا لا نستطيع , بقدر ما لدينا من معلومات حتى الآن, اي نجيب على أي واحد من هذين السؤالين.

في عام 1809 نشر (لامارك) كتابا ادعى فيه ان الانسان كبقية الحيوانات, تطور عن طريق التناسل الطبيعي من اشكال بدائية . وكذا فعل (چيمبرز) في عام 1844 . وفي عام 1859 نشر (السر چارلس دارون) كتابه الشهير المسمى (اصل الانواع) (The Origin of Species) قدم فيه لاول مرة نظرية مفصلة متكاملة للتطور مبنية على اساس التطوير و التحسين التدريجي المسبب عن الاختيار الطبيعي . ولم يكتف (دارون) بأيضاح ان التطور حدث في المخلوقات الموجودة على الارض بل اوضح ان الطبيعة تختار المخلوقات الاكثر صلاحا و ملائمة لبيئة جغرافية معينة و لطريقة معينة في الحياة (البقاء للاصلح) . ثم نشر (دارون) في عام 1871 كتابه (نسب الانسان) (The Descent of Man) الذي ناقش فيه بتفصيل صفات الجسم البشري وبناءه و علاقة الانسان بالقردة العليا, وقال ان القردة العليا و الانسان قد انفصلا من اصل واحد . وبما ان الانسان الحديث اكثر تطورا من اية حيوانات معروفة فلابد ان تكون قد عاشت في الماضي حيوانات تسد الفجوة التطورية بين القردة العليا و الانسان المعاصر . وبما ان العلماء لم يكتشفوا اية متحجرات لها في زمنة فقد اسماها (دارون) (الحلقة المفقودة) (The Missing Link) . وظل العلماء بعد (دارون) يبحثون عن الانسان بعد انفصاله عن الاصل الذي كان يجمعه مع القردة العليا .

**ثانيا – السلالات القديمة :**

ولقد استطاع عدد من العلماء العثور على بقايا عظمية تتكون من جماجم و هياكل عظمية, او اجزاء منها, في اوقات مختلفة و اماكن عدة من العالم .

فانتهوا من دراستها الى ان بعضها يخص حيوانا يقع وسطا بين الانسان الحديث و الاصل المشترك بين الانسان و القردة العليا, فاطلقوا عليه اسم (Ape-man) (القرد – الانسان), في حين توافرت أدلة علمية على ان بعضها الآخر تخص سلالة الانسان المعاصر.

وبدأ اول اكتشاف في عام 1848 في (جبل طارق), ثم اكتشفت في عام 1856 في (دمالدؤرف) بالمانيا اول جمجمة من بقايا سلالة (انسان نياندرتال) . وكان اول رجل نذر نفسه للبحث عن اجداد الانسان الاوائل هو (الدكتور يوجين دوبوا) . فمنذ عمل استاذا للتشريح في جامعة امستردام كان مهتما في اصل الانسان . وقد توصل في دراساته النظرية الى رأي خلاصته ان مهد البشرية يجب ان يكون اما في افريقيا, حيث لا يزال الغوريلا و الشمبانزي يعيشان حتى الآن, او في منطقة الملايو حيث لا يزال الاورانغ او تانغ يعيش . وذهب دوبوا الى (بادانغ) في سومطرا, وظل يبحث زمنا دون جدوى . ثم انتقل الى جاوا و اوصل بحثه حتى اكتشف في عام 1889 جمجمتين ففي قرية (واجاك) ثم اكتشف في عامي 1890 و 1892 في منطقة (تريتيل) البقايا العظمية التي عرفت باسم (القرد – الانسان – المنتصب) (Pithecanthropus erectus) . واستنتج (دوبوا) من تلك العظام انها بقايا حيوان كان وسطا في تطوره بين القردة العليا و الانسان, وانه كان كما بدا من عظم الفخذ, يسير منتصبا على قدميه, كما ظن بعض العلماء انه كان يستعمل نوعا من اللغة . ولقد قدر (دوبوا) واقر رأيه بعد ذلك عدد من العلماء, الزمن الذي عاش فيه ذلك الحيوان بين نصف مليون وثلاثة ارباع مليون سنة, لان بقاياه وجدت في مستوى جيولوجي يرجع الى عصر (الپليستوسين) المتقدم او الاوسط . فاذا كان الرأي القائل بان هذا الحيوان هو اقدم السلالات البشرية صحيحا, فان ذلك التاريخ يمكن ان يعتبر تاريخ ظهور الانسان كسلالة منفصلة على وجه الارض .

ثم توالت الاكتشافات حتى بلغت ثماني عشرة سلالة اهمها :

1. القرد – الانسان – المنتصب (انسان جاوا) (Pithecanthropus erectus) .
2. انسان الصين الپكيني (Sinanthropus pekinensis) .
3. انسان روديسيا (Homo rhodesiensis) .
4. انسان هايدلبرغ (Homo heidelbergensis) .

وهي سلالات تظهر خليطا من الصفات البشرية و صفات القردة, ولكنها تعود لسلالات قديمة من الانسان . وكانت كلها تتميز بضخامة الفك و انخفاض سطح الجمجمة وقصر الجبهة و رجوعها الى الوراء و غير ذلك من الصفات .

1. انسان نياندرتال (Homo neanderthalensis) .
2. انسان كرومانيون (Gro-Magnon Man) .
3. انسان كريمالدي (Grimaldi Man) .

وهي سلالات وجدت مع بعضها ادوات حجرية كان يستعملها افراد تلك السلالات . وقد قطعت السلالتان الاخيرتان اللتان عاشتا في جنوب اوربا شوطا من التقدم اذ كانتا تسكنان الكهوف و تستعملان الادوات الحجرية و تدفنا الموتى . كما خلف انسان كرومانيون رسوما جميلة على جدران الكهوف و ترك تماثيل رائعة للحيوانات .

**ثالثا – العناصر البشرية المعاصرة :**

نشأ الانسان كما رأينا, من مجموعة واحدة متطورة, فكيف تشبعت تلك المجموعة الى عناصر متميزة ؟ الواقع ان بعض السلالات القديمة اظهرت فعلا صفات مختلفة عن بعضها تدل على ظهور عناصر متميزة . فقد كانت في (انسان گريمالدي) صفات زنجية واضحة, كما ان بعض البقايا حوت صفات قوقازية . وليس لدى العلماء الآن أدنى شك في ان النظرية القديمة القائلة بتطور الانسان منذ انفصل عن القردة حتى الآن على خط مستقيم, والتي تقتضي افتراض تطور السلالات واحدة عن الاخرى, نظريو خاطئة .

ففي كل سلالة من السلالات التي وجدناها صفات بدائية و صفات حديثة متطورة . ومعنى هذا ان المجموعة البشرية الاولى تجزأت و انتشرت في اماكن مختلفة متباعدة مكونة مجموعات مستقلة .

و الثابت علميا ان لدى الانسان ميلا طبيعيا نحو (التبدل)في الصفات الجسمية (Mutation) وهو صفة عامة موجودة في كافة اللبائن . ولقد مكن (الانعزال) (Isolation) الذي تعرضت له اقسام من تلك المجموعة الاولى أبان انتشارها على الارض ذلك (التبدل) من الظهور كما انه ثبت اصفات الجديدة . يضاف الى ذلك ان المجموعات المنعزلة تعرضت الى فعل عاملين أساسين في تقرير الصفات الطبيعية . اولها (الاختيار الطبيعي)\* (Natural selection) الذي يقضي على الافراد الذين ليست لهم الصفات التكيفية الضرورية للحياة في البيئة التي يعيشون فيها في حين يبقى على الذين يملكونها, و العامل الثاني هو (الاختيار الاجتماعي)\* (Social selection) الذي يفضل بموجبه المجتمع الزواج من نساء ذوات صفات معينة, فتقل تبعا لذلك فرص اللواتي لا يملكن تلك الصفات في الانجاب فتتلاشى الصفات التي يحملنها و تختفي تدريجيا . فلو فرضنا ان المجموعة البشرية الاولى قد انقسمت الى اربعة اقسام, عاش كل واحد فيها في بيئة معينة, فاننا سنحصل بعد مرور عدد كاف من الاجيال على اربعة عناصر لكل واحد منها صفات طبيعية تختلف عن صفات العناصر الاخرى, كما لا تشبه الاصل الذي تفرغت منه . و يبقى عامل قوي هام يمكن ان يخلق عناصر او اقساما من عناصر جديدة وهو (التهجين) (Hybridization),"ومعناه الاختلاط و التناسل بين مجموعتين متميزتين طبيعيا . و ينتج (التهجين) دائما صفات جديدة هي خليط من صفات الأصلين ". فلو التقت مجموعات من القسمين الول و الثاني, ومجموعات من القسمين الثالث و الرابع من الاقسام الاربعة المار ذكرها و تزاوجت و تناسلت لانتجت مجموعتين بشريتين جديدتين تختلف كل واحدة منهما اختلافا تاما في صفاتها عن المجموعتين اللتين هجنت احداهما الاخرى . ولو اتيح لهاتين المجموعتين الجديدتين ان تستقرا زمنا منعزلتين لثبتت الصفات الجديدة فيهما و اصبحتا مجموعتين مختلفتين, فبلغ عدد المجموعات بدلا من اربع , وهكذا .

ولذا يمكن ايجاز العوامل التي تؤدي الى نشوء عناصر جديدة بما هو آت :

1. (التبدل) وهو العامل الذي يقدم المواد الاولية لظهور الصفات الطبيعية .
2. (الانعزال) و (الاختيار الطبيعي) وتقوم هذه العوامل بتثبيت الصفات الجديدة .
3. (التهجين) ويقوم بانتاج صفات جديدة و بتطوير الموارد الاولية التي قدمها (التبدل).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

\*يترجم مفهوم Selection الاختيار او الانتخاب و عليه يطلق ايضا على (الاختيار الطبيعي) بـ (الانتخاب الطبيعي), و (الاختيار الاجتماعي) بـ (الانتخاب الاجتماعي).

و السؤال الذي يتبادر الى الذهن اآن هو : ماذا نعرف عن العناصر القديمة و صفاتها و مواطنها ؟ الواقع اننا لا نعرف شيئا عن تاريخ تلك العناصر مطلقا . فالبقايا العظمية التي اكتشفناها حتى الآن قليلة جدا لا تكفي لالقاء ضوء كاف على اصول تتلك العناصر. كما ان البقايا العظمية لا تهدينا لالوان الشعر و العيون و البشرة, و لا لشكل الانوف و الشفاة, ولا للدم و مجاميعه, ولا الى اية صفة من الصفات التي توجد في غير العظاممن الجسم البشري, وتلك كما سنرى مقاييسنا الوحيدة لتقسيم العناصر و تحديدها. كما اننا, من ناحية اخرى, لا نستطيع الجزم بما سينتج في المستقبل من استمرار اختلاط العناصر و امتزاجها .

و التعريف العلمي المتفق عليه للعنصر هو ( مجموعة من الافراد لهم اصل عام و صفات طبيعية معينة قابلة للانتقال بالوراثة يشتركون فيها بصورة عامة ) . ولقدر درس عدد من علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بدعوة من (هيئة اليونسكو) في عام (1951) موضوع طبيعة العنصر و الفروق العنصرية فاتفقوا على ( ان كلمة العنصر في مفهومها الانثروبولوجي يجب الا تستعمل الا للدلالة على مجموعة من البشر يملكون فروقا طبيعية بارزة و قابلة للانتقال بالورثة ) .